إنسانيّة الأمير

في دمشق وقعت حادثة بين المسلمين والمسيحيين، تصدّى لها الأمير بحنكة العظماء وسجّل موقفا تاريخيّا لا يصدر إلا من عظيم.

عظماء الإنسانيّة

جَمَعَ الأَمِيرُ العُلَمَاءَ والوُجَهَاءَ وَ الأَعْيَانَ مِنْ أَهَالِي دِمَشْقَ وَجَمَاعَةِ الـمُهَاجِرِينَ الـمَغَارِبَة وَخَاطَبَهُم قَائِلًا : «إنَّ الأَدْيَانَ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا الدِّينُ الإِسْلَامِيُّ أَجَلُّ وَأَقدَسُ مِن أنْ تَكُونَ خِنْجَرَ جَهَالَةٍ أَوْ مِعْوَلَ طَيْشٍ أَوْ صَرَخَاتِ **نَذَالَةٍ** تُدَوِّي بِهَا أَفْوَاهُ **الحُثَالَةِ** مِنْ القَوْمِ. أُحَذِّرُكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا لِشَيْطَانِ الجَهْلِ فِيكُمْ نَصِيبًا، أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي نُفُوسِكُمْ سَبِيلًا».

وَمَعَ تَحْذِيرِ الأَمِيرِ انْطَلَقَتْ شَرَارَةُ الفِتْنَةِ بِدِمَشْقَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ 20 ذِي الحِجّة 1276 هـ الموافق لـ 9 جويلية 1860 وَبَقِيَ الأَمِيرُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا مُتَوَالِيَةً لَمْ **يَفْتُرْ** فِيهَا لَحْظَةً عَنْ نُصْرَةِ الـمَظْلُومِينَ وَإِنْقَاذِهِمْ مِنَ القَتْلِ، وَأَشْرَفَ عَلَى تَطْبِيبِ الجَرْحَى، وَقَامَ عَلَى تَعْزِيَةِ **الثّكَالَى** وَالأَرَامِلِ وَاليَتَامَى. وكَانَ يَقْضِي أَكْثَرَ اللَّيَالِي سَاهِرًا وَبُنْدُقِيَّتُهُ فِي يَدِهِ حِرْصًا عَلَى مَنْ فِي حِمَاهُ، فَإِذَا غَلَبَ عَلَيهِ النُّعَاسُ أَسْنَدَ رَأْسَهُ إِلَى فُوَّهتها قَلِيلًا وَغَفَا.

وَبَلَغَ عَدَدُ الّذِينَ أَنْقَذَهُمْ الأَمِيرُ مِنَ القَتْلِ وَالعَذَابِ مِمّن التَجَأوا إِلَى دَارِهِ نَحْوًا مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفِ شَخْصٍ مِنَ **القَنَاصِلِ** وَأَعْيَانِ النّصَارَى وَ**الرُّهْبَانِ** وَالرَّاهِبَاتِ.

وَكَتَبَ الأَمِيرُ بَعْدَ الفِتْنَةِ مُعَبِّرًا عَنْ سَبَبِ مَوْقِفِهِ النَّبِيلِ الّذِي فَسَّرَهُ النَّاسُ تَفْسِيرَاتٍ مُخْتَلِفَةً يُخَاطِبُ مَلِكَةَ بريطَانْيَا : «إِنّنِي لَمْ أَفْعَلْ إِلّا مَا تُوجِبُهُ عَلَيّ فَرَائِضُ الدِّينِ وَلَوَازِمُ الإِنْسَانِيّةِ».

(نزار أباظة، الأمير عبد القادر العالم المجاهد، ص 16-18)

أثري لغتي

نذالة : حقارة
الحُثالة : الأراذل
يفتر : يضعف
الثّكالى : اللّواتي فقدن أولادهنّ
القناصل : جمع. مفرده قنصل؛ النّائبُ عن دولة في دولة أُخرى
الرّهبان : رجال الدّين النّصارى